

أثر المدرسة الفقهية المصرية على مدرسة بجاية المالكية في القرن 7هـ/13م The impact of the Egyptian school of jurisprudence on the Maliki school of Bejaia in the 7th century AH/13 AD

ط. د: أحمد فايزي مخبر بحث التاريخ الاقتصادي و الاجتماعي /جامعة الوادي-الجزائر faiziahmed073@gmail.com	أ. د. علال بن عمر قسم التاريخ/جامعة الوادي-الجزائر allal39000@gmail.com
--	---

تاريخ الاستلام: 2024/09/ 14 تاريخ القبول: 2025/01/ 07 تاريخ النشر: 2025/06/ 03	
الملخص	- شهدت حاضرة بجاية منذ انبعاثها في العهد الحمّادي (ق5هـ/11م) تواصلا علميا كبيرا مع حواضر الفقه المصرية (القاهرة، الاسكندرية...) ، من خلال الرحلات العلمية المتبادلة بين الطلبة والفقهاء المصريين و البجائيين على حدّ سواء، وكان من ثمرة هذا التواصل تلاقي الأفكار بلقاء الأفاضل، و الانفتاح على المذاهب الأخرى -لاسيما المذهب الشافعي- وجلب المصنّفات الفقهية المصرية و الجلوس لتدريسها وكتابة الشروحات و المختصرات حولها ... سأتناول في هذا المقال أثر ذلك التواصل في تبلور معالم المدرسة المالكية البجائية في القرن (7هـ/13م) من خلال إعطاء نماذج من رحلات طلبة العلم البجائيين إلى حواضر "مصر" تحديدا، ورصد أشهر الفقهاء المصريين الذين جالسوهم و درسوا عندهم، و أهمّ المصنّفات الفقهية المصرية التي كان لها حضور في الدرس الفقهي البجائي، وإبراز مدى تأثيرها في تطوّر و تميّز المدرسة المالكية البجائية، وذلك بالاعتماد أساسا على كتب الرّحلات وكتب التراجم والسّير.
الكلمات الدالة	الرحلة ؛ الفقهاء ؛ المدرسة المالكية ؛ بجاية ؛ المصنّفات المشرقية.

Abstract:

- Since its emergence in the Hammadid era (5 AH/11 AD), the metropolis of Bejaia has witnessed great scientific contact with the Egyptian jurisprudence metropolises (Cairo, Alexandria...), through mutual scientific trips between students and Egyptian and Bejai scholars alike, and one of the fruits of this communication Cross-fertilization of ideas by meeting the virtuous, being open to other sects - especially the Shafi'i madhhab - and bringing Egyptian jurisprudential works and sitting down to teach them and writing explanations and abbreviations about them...

In this article, I will discuss the impact of that communication on crystallizing the features of the Maliki Bejaia school by giving examples of the Bejai scholars' trips to "Egypt's cities" specifically, and monitoring the most famous Egyptian jurists who sat with them and studied about them, and the most important Egyptian jurisprudential works that had a presence in the jurisprudence lesson Al-Buja'i, and highlighting the extent of its impact on the development and distinction of the Maliki Buja'i school, by relying mainly on travel books, translations and biographies.

Keywords:

the trip , jurists , Maliki School , Bejaia , Egyptian Works.

1. مقدمة:

تعتبر مدينة "بجاية" من أجَلِ حواضر الغرب الاسلامي عموما، وبلاد المغرب الأوسط على وجه الخصوص، فهي مدينة عظيمة تقع شرقي "الجزائر" على ضفة البحر، ما بين جبال شاذلي قد أحاطت بها، يقال أنها كانت فيها آثار قديمة، وأنها كانت آهلة بالسكان منذ الأزل¹، ثم انبعثت من جديد سنة 457هـ/1065م من رحم قلعة بني حماد²، حيث اختطها "الناصر بن علّاس"³ (ت 481هـ/1089م) وسماها "الناصرية"، حبا في التميز عن سابقيه، ونقل ملكه إليها سنة 461هـ/1069م بعد أن ذاقته به القلعة ذرعا، من جزاء الصراع بينه وبين بني عمومته "الزيريين" من جهة، وبين العرب الهلالية من جهة ثانية⁴.

بلغت بجاية -في عهد الحمّادين- شأنا عظيما في مجال العلوم، واحتلت مكانة مرموقة بين حواضر العلم العتيقة، إذ ومنذ تأسيسها تحوّلت الأنظار نحوها، وصارت -بحكم موقعها

المنفتح على العالم الخارجي - قاعدة للمغرب الأوسط، وقبله يؤمّها التّخبة والعلماء من مصر و الشام و الأندلس...، و رغم الاضطراب السياسي الذي سادها بنهاية دولة بني حمّاد (547هـ/1152م) على أيدي الموحّدين، و محاولة بقايا المرابطين من بني غانية⁵ العبور إليها (580هـ/1185م)، إلّا أنّ النصوص المصدّرية تشير إلى انتعاش الحركة العلمية، وازدهار الحياة الثقافية و الفكرية بها حتّى في العهد الموحّدي⁶.

و بعد انهيار الامبراطورية الموحّدية و إعلان أبي زكريا الحفصي استقلال الإمارة الحفصية سنة 625هـ/1228م، أضحت بجاية عاصمة ثانية لها تُنافس العاصمة الأولى "تونس"، حيث أولاه السلاطين و الأمراء الحفصيون عناية فائقة، خاصّة في مجال العمران و العلوم، فانتشرت بها مراكز التعليم كالمدارس و المساجد و الكتاتيب و الزوايا... و انتهت بذلك إلى شأن كبير لاسيما في مجال العلوم الدينية، و على وجه الخصوص ميدان الفقه المالكي الذي صارت له فيها مدرسة بمعلمها و أعلامها، وذات علاقات وطيدة و تواصل ثقافي مع عواصم العالم المشرقية و المغربية، لاسيما حواضر "مصر" العلمية، و من هنا جاءت إشكالية موضوعنا كالتالي: إلى أيّ مدى أثر التواصل العلمي بين "بجاية" و "مصر" على الانتاج الفقهي المالكي البجائي؟ وتحليلا لهذه الإشكالية قسّمنا الموضوع إلى ثلاثة محاور رئيسية كما يلي: أوّلا: واقع الحركة الفقهية بـ"مصر" في القرن 7هـ/13م.

ثانيا: الرّحلة العلمية و دورها في التّواصل الثقافي بين بجاية و مصر.
ثالثا: الأثر الشافعي على فقهاء بجاية من خلال الأعلام و المصنّفات.
وللاستفادة من المادّة العلمية التي حصلنا عليها من المصادر و المراجع، و استغلالها أحسن استغلال، فإنّنا اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج الإحصائي عند سردنا لأشهر فقهاء بجاية الذين ارتحلوا إلى مصر في القرن السابع الهجري، و المنهج الوصفي الذي استعملناه خلال حديثنا عن واقع الحركة الفقهية ببجاية و مصر، و المنهج التحليلي حين أردنا إبراز أثر المذهب الشافعي في فتاوى و مؤلّفات البجائيين في القرن السابع الهجري و بعده.

2. واقع الحركة الفقهية بـ"مصر" في القرن 7هـ/13م:

إنّ المتتبع لبدايات الحركة الفقهية و المذهبية بمصر منذ مطلع القرن (2هـ/8م) يرى بوضوح أسبقية المذهب المالكي دخولا وانتشارا بهذا الإقليم، فحتّى الفقهاء المصريين الذين تتلمذوا للإمام "الليث بن سعد" (175هـ/792م) و نخلوا من فقهه، أثر أغلبهم اقتفاء آثار الإمام مالك و اتّباع آرائه، و هو ما أشار إليه القاضي عياض عندما رتب أرض مصر كأول أرض انتشر بها مذهب مالك بعد المدينة و غلب عليها، و أطبق أهلها على الاقتداء به⁷، و في أواسط القرن (2هـ/8م) عرف المصريون المذهب الحنفي عن طريق الفقيه الكوفي إسماعيل بن اليسع (ت 167هـ/784م) الذي عيّنه الخليفة العبّاسي "المهدي" كأول قاض حنفي على مصر سنة 164هـ/781م⁸، أمّا المذهب الشافعي فإنّه لم يُعرف في مصر إلّا بعد قدوم صاحب المذهب نهاية القرن الثاني الهجري، يذكر البيهقي أنّ الإمام الشافعي لقي الربيع بن سليمان بمدينة "نصيبين" قبل أن يدخل مصر فسأله: كيف تركت أهل مصر؟ فقال: تركتهم على ضربين، فرقة منهم قد مالت إلى قول مالك، و أخذت به، واعتمدت عليه، وذبت عنه و ناضلت، و فرقة قد مالت إلى قول أبي حنيفة، فأخذت به، و ناضلت عنه. فقال الشافعي: أرجو أن أقدم مصر -إن شاء الله- و آتيهم بشيء و أشغلهم به عن القولين جميعا. قال الربيع: ففعل ذلك -والله- حين دخل مصر.⁹ وهو بذلك كما قال ابن خلدون: "مزج طريقة أهل الحجاز بطريقة أهل العراق، واختصّ بمذهبٍ، وخالف مالكا رحمه الله تعالى في كثير من مذهبه."¹⁰.

وظلّت الخريطة المذهبية في مصر منذ مطلع القرن الثالث الهجري موزّعة بين ثلاثة مذاهب كبرى -المالكي والشافعي و الحنفي- واستمرّ الحال كذلك إلى سقوط الدولة في أيدي العبيديين 358هـ/969م، وهو ما أشار إليه المقرئزي بقوله: "...وما زال مذهب مالك ومذهب الشافعيّ رحمهما الله تعالى يعمل بهما أهل مصر، ويولى القضاء من كان يذهب إليهما أو إلى مذهب أبي حنيفة رحمه الله، إلى أن قدم القائد جوهر من بلاد إفريقية في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة بجيوش مولاه المعز لدين الله أبي تميم معدّ وبنى مدينة القاهرة¹¹". فمن حينئذ فشا بديار مصر مذهب الشيعة وعمل به في القضاء والفتيا وأنكر ما خالفه، و ملك العبيديون

مصر، "وأفنوا من كان بها من أئمة المذاهب الثلاثة، قتلاً ونفيًا وتشريدًا، وأقاموا مذهب الرفض والشيعة، ولم يزلوا منها إلى أواخر القرن السادس، فتراجعت إليها الأئمة من سائر المذاهب.¹²"، حيث عمل الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب منذ تولّيه الوزارة في جمادى الآخرة سنة 564هـ/1169م على القضاء على المذهب الشيعي وإزالة الدولة الفاطمية، فاعتنى ببناء "المدارس" التي لم يكن لمصر عهد بها قبل الحكم الأيوبي، و فوّض أمر القضاء و الفتوى لعلماء المذهب الشافعي و بدرجة أقل لفقهاء المذهب المالكي، و بقي الأمر على ذلك إلى أواخر الدولة الأيوبية حيث اشتهر المذهب الحنفي¹³ و بدرجة أقل مذهب الإمام أحمد، و لما تولّى المماليك حكم مصر ساروا على نهج سلفهم فقهاء و حملوا الجميع على الأشعرية عقيدةً، و هو ما أشار إليه "المقريزي" عند حديثه عن سلطة الملك الظاهر بيبرس البندقداري سنة 665هـ/1267م، فولي بمصر والقاهرة أربعة قضاة، وهم شافعي ومالكي وحنفي وحنبلي.¹⁴

3. الرحلة العلمية و دورها في التواصل الثقافي بين بجاية و مصر

مثّلت الرحلة -بتعدّد أنواعها- مظهرًا من مظاهر الحضارة الإسلامية في العصر الوسيط، فإلى جانب الرحلات الدينية المرتبطة بالحج و زيارة البقاع المقدّسة، و الرحلات التجارية ذات المسعى الاستراتيجي، تأتي الرحلة العلمية القائمة أساسًا على نقل المعارف و العلوم، كبعث الكتب لنشر المذاهب و الأفكار، وإرسال الطلبة للاستزادة في العلم أو طلبًا للفتوى، وهو ما حثّت عليه أحاديث النبي و آثار التابعين من بعده، فقد ذكر السيوطي أنّ عبد الله بن أحمد سأل أباه عمّن طلب العلم، ترى له أن يلزم رجلاً عنده علم فيكتب عنه، أو ترى له أن يرحل إلى المواضع التي فيها العلم فيسمع منهم؟ قال: يرحل يكتب عن الكوفيّين والبصريّين، وأهل المدينة ومكة، يشأم الناس يسمع منهم. فشهوة السماع لا تنتهي، ونهمة الطلب لا تنقضي، والعلم كالبحار التي يتعدّر كبلها، والمعادن التي لا ينقطع نيلها. و في ذمّ الركود و المكوث بالأوطان قال ابن معين: أربعة لا تأنس منهم رُشداً، وذكر منهم رجلاً يكتب في بلده ولا

يرحل. وقال شعيب بن الحبحاب: السَّماع من الرِّجالِ أرزاق، كما قال يحيى بن أبي كثير: لا يُنال العلم بِراحة الجِسم ¹⁵.

ولم تجد حاضرة بجاية في القرن 7هـ/13م عن ذلك المنحى الذي رسمه طلبة العلم من مختلف حواضر بلاد المغرب، فقد عرف علماؤها وطلبتها تواصلا علميا و ثقافيا مع شتى الحواضر العلمية؛ مشرقا حيث تونس، ومنها إلى مصر و الحجاز و بلاد الشام، ومغربا حيث تلمسان ومنها إلى فاس و بلاد الأندلس...، و لئن كانت الخطوات الأولى للرحلة نحو المشرق تقتضي المرور -منطقيا- عبر تونس و المكوث بحواضرها إن لزم الأمر، بحكم الجوار من جهة وبحكم الوحدة المذهبية و السلطة السياسية من جهة ثانية، فإنّ حواضر "مصر" هي الأخرى شهدت توافدا علميا ساهم -إلى حدّ كبير- في تشكيل الملمح الفقهي العام للمدرسة المالكية البجائية، فما هي -يا تُرى- الدوافع و المحفّزات التي شجّعت طلبة العلم البجائيين على الانتقال إلى مراكز العلم و الثقافة المصرية؟ و ما هي الآثار العلمية و الأهداف المرجوة منها؟

3. 1 رحلات البجائيين العلمية إلى مصر: قراءة في الدوافع و المحفّزات

تعتبر "مصر" بحكم موقعها الجغرافي، ثاني محطة مشرقية -بعد تونس- يقصدها الفقهاء وطلبة العلم البجائيين، سواء أكانت الرحلة مقصدا إلى حواضرها و غاية في حدّ ذاتها، أم كانت محطة توقّف وعبور، يؤمّمها الرحالة و الحجاج و طلبة العلم، باعتبار وقوعها في طريق المغاربة نحو الحجاز و العراق و بلاد الشام، لذا فقد ارتبطت حاضرة "بجاية" بمصر ارتباطا قويا، عضدته رابطة الجوار بحكم تبعية بجاية السياسية للسلطة الحفصية بالمغرب الأدنى، وزاد ذلك صلابة الخطر الصليبي المشترك الذي هدّد العالم الاسلامي مشرقه و مغربه، و لقد ساهمت عدّة عوامل ثقافية و سياسية و دينية في تشجيع طلبة العلم و الفقهاء البجائيين على الرحلة إلى مصر، نذكر منها:

-تعلّق المغاربة ببلاد المشرق عامّة واعتباره مصدرا للمعرفة الإسلامية.

-الاستقرار السياسي الذي شهدته مصر خلال حكم الأيوبيين (ق7،6هـ) جعل من هذه البلاد الأكثر استقطابا لطلبة العلم والعلماء، ذلك أنّ الخلافة العباسية في بغداد كانت مغلوقة على أمرها، وبلاد الأندلس كانت تنخرها الصراعات الطائفية.

-نقصان الخوف من مهالك الطريق، وإسقاط المكوس على الحجاج وطلبة العلم حيث يذكر ابن جبير بأنّ الله منّ على الحجاج بالعمل الجليل والفعل الجميل الذي قام به صلاح الدين أواخر المائة السادسة بعد أن أصدر أمره بفك المكوس والمغارم "فانبسطت لذلك النفوس و زاد السرور و زال البؤس"¹⁶ فنشطت الرحلة العلمية إلى مصر و المشرق عموما منذ مطلع القرن السابع الهجري، واستأنس العلماء بالحواضر الاسلامية التي كانت الحركة العلمية نشيطة بها وقتئذ¹⁷.

-تشجيع السلاطين الحفصيين الأوائل خاصة أبي زكريا والمستنصر لحركة التعليم واستقطاب الفقهاء إلى حواضر السلطنة الحفصية، وذلك من خلال تشييد المؤسسات التعليمية و إغداق الجرايات على الطلبة و الفقهاء و عقد المجالس الفقهية العلمية التي كانت تنظم في حضرهم -ازدهار الحياة العلمية و الأدبية و نشاط حركة التأليف بمصر، وذلك راجع إلى اهتمام الدولة النورية و سلاطها نورالدين زنكي، ثمّ سلاطين الدولة الأيوبية، وسلاطين دولة المماليك بالحياة الثقافية، حتّى أنّهم كانوا لينزلون إلى المساجد و المرافق التعليمية لمشاركة العلماء في حلقاتهم العلمية¹⁸.

-التوافق المذهبي بين مصر و بلاد المغرب بعد سقوط دولة الفوطم (ق6هـ/12م)، ودعم سلاطين الأيوبيين و المماليك للمذهب السنّي و تمكينه في مصر، سعيًا منهم لمجاهدة بقايا دعاة الدولة الفاطمية، و التصدّي للفكر الشيعي الذي كان سائدا من قبل¹⁹، فعملوا على استجلاب طلبة العلم و الفقهاء البجائيين كونهم أعداء تقليديين للفوطم، إضافة إلى تشبّعهم بأفكار المذهب المالكي السنّي ببجاية التي أضحت منارة مالكية منذ تأسيسها في العهد الحمّادي، كما قلّدهم المناصب العليا في الدولة كالقضاء و التوثيق و الحسبة، و أتاحوا لهم

فرصة التدريس في المساجد و الزوايا، ولا أدلّ على ذلك من تصدّر الشيخ يحيى بن مُحمّد بن أحمد العجيسي²⁰ البجائي المغربي لتدريس المالكية في الجامع المؤيدي بجوار باب زويلة²¹ -عناية سلاطين مصر بالحياة الثقافية، و تشجيعهم لطلبة العلم من خلال تشييد و بناء المرافق التعليمية كالمدارس²² و المساجد و الزوايا و الخوانق و غيرها²³، و تخصيص بيوتات للغرباء و المسافرين من طلبة العلم، و توفير الراحة و العناية الصحيّة و مختلف الخدمات الاجتماعية لهم، وهذا ما يؤكّده الرّحالة ابن جبير (ت614هـ/1218م) عندما زار الاسكندرية بقوله: "ومن مناقب هذا البلد ومفاخره العائدة في الحقيقة إلى سلطانه: المدارس والمحارس الموضوعة فيه لأهل الطلب والتعب، يفدون من الأقطار النائية فيلقى كل واحد منهم مسكنا يأوي إليه ومُدّرّسا يُعلمه الفن الذي يريد تَعَلُّمه، وإجراء يقوم به في جميع أحواله، واتسع اعتناء السلطان بمؤلاء الغرباء الطائرين حتى أمر بتعيين حمامات يستحمون فيها متى احتاجوا إلى ذلك، ونصب لهم مارستانا لعلاج مَنْ مَرِض منهم، ووكل بهم أطباء يتفقدون أحوالهم، وتحت أيديهم خُدام يأمرُونهم بالنظر في مصالحهم التي يشيرون بها من علاج وعذاء"²⁴ -ترحيب شيوخ العلم والمدرّسين بطلبة العلم الوافدين عليهم، وتبجيل المغاربة خصوصا، وتوفير جميع ظروف الإقامة و الراحة لهم، و إغداق العطايا و الهدايا عليهم، وإعطائهم الحرّيّة المطلقة في التنقّل واختيار أساتذتهم ومشايخهم.

-توقّر متطلّبات العيش الكريم من أمن واستقرار و رخاء اقتصادي بالمدن المصرية، و هو ما شهد به الرّحالة الأندلسي "ابن جبير" في قوله: "ومرافق الغرباء بهذه البلدة أكثر من أن يأخذها الاحصاء، ولا سيما لحفاظ كتاب الله، عزّ وجل، والمنتمين للطلب. فالشأن بهذه البلدة لهم عجيب جدا... فَمَنْ شاء الفلاح من نشأة مغربنا فليرحل الى هذه البلاد ويتغرب في طلب العلم فيجد الأمور المعينات كثيرة فأولها فراغ البال من أمر المعيشة، وهو أكبر الأعوان وأهمها..."²⁵

3. 2 الأهداف و الآثار الناجمة عن رحلات البجائيين العلمية إلى مصر:

بعد استعراضنا لأهمّ الدوافع و المحفّزات التي شجّعت طلبة العلم البجائيين على التوجّه نحو حواضر العلم المصرية، تأتي الآن على ذكر الأهداف المتوخّاة من تلك الرّحلات، و التي من أهمّها:

-تحصيل علو الإسناد من خلال الجلوس إلى العلماء و المشائخ، و السماع المباشر منهم، و التأدب بأدبهم و التآسي بأخلاقهم، و نيل بركتهم، و الحصول على إجازاتهم، و هو ما أشار إليه ابن خلدون بقوله: " أن الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعلم، والسبب في ذلك أنّ البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلون به من المذاهب والفضائل: تارة علما وتعلّما وإلقاء وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة. إلّا أنّ حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشدّ استحكاما وأقوى رسوخا." ²⁶ ويؤكد ذلك ما قاله السيوطي من أنّ المقصود بالرحلة أمران: أحدهما: تحصيل علو الإسناد، وقدم السماع. والثاني: لقاء الحفاظ، والمذاكرة لهم، والاستفادة منهم ²⁷. فيذكر الغبريني مثلاً أنّ الفقيه أبا الحسن ابن أبي نصر البجائي (ت652هـ/1254م) الذي رحل إلى مصر و الحجاز و الشام، له علو سند في الحديث يتصل بالإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، وعنه روى الأندلسيون ببجاية ²⁸ -تلاقح الأفكار ذات المشارب المتعددة، و المذاهب المتنوعة، فمصر بمدارسها الفقهية التي جمعت المذهب المالكي و الشافعي و الحنفي كانت محط أنظار فقهاء بلاد المغرب عموما، و البجائيين على وجه الخصوص، فقد سجّلت لنا المصادر عددا -غير قليل- من طلبة العلم الذين رحلوا إلى مصر، و نهلوا من ذلك التنوع الموجود بها، ثم عادوا إلى بجاية، و جلسوا للتدريس و الفتوى، بل و تولّى المناصب العليا في الدولة، وهو ما نلمسه عند الشيخ ناصر الدين المشدالي (ت731هـ/1331م) الذي رحل إلى مصر و الشام، و أقام في رحلته نيفا و عشرين سنة، و قرأ الأصول و الفروع دراسة و تفقّها ²⁹، و لقي الأفاضل و العلماء، و سمع منهم، و روى عنهم، كالشيخ عز الدين بن عبد السلام (ت660هـ/1262م) سلطان العلماء و إمام الشافعية في عصره، و الشيخ صدر الدين سليمان الحنفي (ت677هـ/1279م) شيخ الحنفية في زمانه، و الشيخ شمس الدين الأصبهاني (ت749هـ/1348م) و غيرهم ³⁰

- تعديد مصادر التلقّي للاستزادة في فهم و إدراك و تعميق و تصحيح المعارف، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها. والاصطلاحات أيضا . ولقاء أهل العلوم وتعدّد المشايخ يفيد في تمييز الاصطلاحات بما يراه من اختلاف طرقهم فيها على حدّ تعبير

ابن خلدون³¹، ويربط مُحمَّد بن إبراهيم الآبلي "عِظَم فوائد الرحلة بزيادة عدد الشيوخ الذين يلتقي بهم الطالب³²، و قد عُرف عن المدرسة المصرية تعدد مشاربها وتأثيرها بمدرسة الرأي العراقية، و هو ما ألقى بضلاله على فقهاء بجاية الذين ارتحلوا إلى مصر واحتكوا بعلمائها و سمعوا منهم ورووا عنهم.

- تدوين الملاحظات و السماعات من أفواه العلماء مباشرة، و حفظها في الذاكرة، و عند العودة يتم تسجيلها في مدونات بأسانيدھا و باسم الشيوخ الذين أخذت عنهم، و من ثم تأليف المصنّفات حولها بالمقاربة و المقارنة بين الآراء و المذاهب الفقهية و الحديثة.

3.3 أشهر فقهاء بجاية الذين ارتحلوا إلى مصر (ق7هـ/13م):

قبل التعريف بأشهر فقهاء بجاية الذين ارتحلوا إلى مصر في الفترة المدروسة، ارتأيت أن أصدر كلامي بما ذكره "المقرّي" في "نفع الطيب" عندما أراد أن يُعرّف ببعض من رحل من الأندلسيين إلى المشرق فقال: "واعلم أنّ حصر أهل الارتحال، لا يمكن بوجه ولا بحال، ولا يعلم ذلك على الإحاطة إلا علّام الغيوب الشديد المحال، ولو أطلقنا عنان الأقلام فيمن عرفناه فقط من هؤلاء الأعلام، لطال الكتاب وكثر الكلام..."³³، كما أشير إلى أنّه من العسير جدّاً فصل قرن عن القرن الذي يليه فيما يتعلّق بالرحلة و المكوث في حاضرة أو الانتقال إلى أخرى، لذا سأقتصر في هذا المقام على ذكر من اشتهر من الفقهاء - ممن عاش في القرن السابع الهجري - أنّه ارتحل إلى المشرق، و خلف أثرا علميا ساهم في تطوّر الدرس الفقهي، سواء أعاد إلى بجاية أم قضى هناك، فأبداً مُرتباً إليّهم بالأسبقية وفاة:

- أبو زكريا يحيى بن علي الزواوي (ت611هـ/1215م)³⁴: وُلد في بني عيسى من قبائل "زواوة"، قرأ أوّل أمره بقلعة بني حمّاد على الشيخ الفقيه النّحوي أبي عبد الله مُحمَّد بن عبد الله المعروف بابن الخراط³⁵، ثمّ ارتحل إلى المشرق فلقى الفضلاء و الأخيار من الفقهاء و المتصوّفة، ومن أشياخه بالمشرق الفقيه أبو الطاهر اسماعيل بن مكّي بن عوف الزهري الاسكندراني المالكي³⁶، روى عنه الموطّأ، و القاضي أبو سعيد مخلوف بن جارة الاسكندراني المالكي³⁷، و الحافظ أبو طاهر السلفي الأصبهاني³⁸، و الفقيهان الأخوان أبو عبد الله و أبو العبّاس

الحضرميان...، و بعد رجوعه من المشرق استوطن بجاية و جلس بها لنشر العلم و بثّه إلى أن وافته المنية بعد صلاة العصر من يوم الجمعة الرابع عشر من شهر رمضان من عام أحد عشر و ستمائة.

-أبو العباس أحمد بن عثمان بن عبد الجبار المتوسي الملياني³⁹ (ت 644هـ/1246م):

الشيخ الجليل، الإمام الفقيه، رحل إلى المشرق و لقي الأفاضل، ثمّ رجع إلى المغرب وسكن بجاية، فأقرأ بها و أسمع، وله "تقييد" فيه تنبيهات خفية على شرح كتاب "التلقين" للمازري⁴⁰، و علوّ قدره استدعاه الأمير الحفصي أبو زكريا إلى حضرة إفريقية، و حضر مجلسه.

-أبو الحسن علي ابن أبي نصر فتح بن عبد الله البجائي (ت 652هـ/1254م)⁴¹: شيخ فقيه، عالم عابد ورع من أهل بجاية، بها وُلد ونشأ، ثمّ رحل إلى الأندلس وبعدها إلى المشرق، واستقرّ قراره ببجاية، وكان بها يروي و يُسمع و يُتفقّه عليه، و كان ذو وجهة، وله علوّ سند في الحديث، سمع بمكة يونس بن يحيى الهاشمي، و بالقدس الحسين بن جبير، و بدمشق الدمياطي و بالإسكندرية الأبياري...، وقال التنبكتي: "رأيت بخط بعضهم أنّه كان من حفاظ فقهاء مذهب مالك"⁴²

-أبو علي عمر بن أحمد العمري (ت بعد 660هـ/1262م): شيخ فقيه، و أصولي مبارك، من أهل بجاية، رحل إلى مصر و لقي الأفاضل، ثمّ حجّ بيت الله الحرام، ورجع بعد تحصيل واستفادة، وانتصب للتدريس ببجاية، فكان يقرأ عليه الفقه و الأُصول⁴³. وقال عنه الغبريني: "هو أحد من أخذ عنهم الشيخ أبو مُحمّد عبد الحق بن ربيع البجائي، و أخبرني بعض الطلبة أنّه رأى له تقييدا ردّ فيه على الوصية التي أوصى بها فخر الدّين بن الخطيب رحمه الله عند موته، و شارك الشيخ أبا الحسن الحرّالي في جملة مشايخه الذين قرأ عليهم بالمشرق، وتوفي رحمه الله ببجاية في عشر السّتين و ستمائة"⁴⁴.

-أبو محمّد عبد الوهاب بن يوسف بن عبد القادر البجائي (ت بعد 680هـ/1281م):

منطقي، أصولي، قاض، من فقهاء المالكية، تعلّم ببجاية ثمّ رحل إلى المشرق، و أخذ عن علماء وقته، وحجّ مرّتين، ثمّ عاد فوّلّى القضاء بتوزر و قفصة وغيرها⁴⁵، قال عنه الغبريني: "أحد

الأفاضل الذين قلّ أن يسمح الزمان بمثلهم، له علم بأصول الدين و أصول الفقه، و معرفة بالحكمة و براعة في علم المنطق...⁴⁶

- أبو محمد عبد السلام الزواوي (ت 681هـ/1282م): زين الدين عبد السلام بن عمر بن سيدي الناس الزواوي، وُلد في بجاية عام 589هـ/1193م، ونبغ في علوم الفقه و القراءات و علوم اللغة و الأدب، ثم ارتحل إلى المشرق، فتنقل بين الاسكندرية و القاهرة و دمشق التي اتخذها مقاما له، و تولى هناك مشيخة الإقراء الكبرى بالترتبة الصالحية، كما تولى قضاء المالكية و تصدّى للتدريس والتعليم و الإفتاء حتّى توفّي عام 681هـ/1282م.⁴⁷

- أبو العباس أحمد بن عيسى بن عبد الرحمن الغماري (ت 682هـ/1283م): قاضي بجاية و فقيهاها، رحل إلى المشرق و قرأ و جدّ واجتهد، ولقي جملة من المشايخ ومنهم الشيخ عزالدين بن عبد السلام، يقول الغبريني: "حضرت دروسه و شاهدتها، وكان يبدأ بالرفائق أولا، وبعد ذلك بالفقه و أصول الفقه، وكان يُقرأ "التهذيب" عليه، و يُقرأ "الجلاب"، فيكثر البحث و تحتدّ القرائح، ويحيىء بالمسألة الخلافية فيرتضي أحد وجهيها."⁴⁹

- أبو إسحاق إبراهيم بن ميمون بن بهلول الزواوي (ت 686هـ/1287م): قال عنه الغبريني: "الشيخ الفقيه الصالح، الأديب المفوه...رحل إلى المشرق و لقي أكابر العلماء و أختار الفضلاء، كالرشيد بن عوف، و الشيخ عزالدين بن عبد السلام، و غيرهما، كان منقطعا عن الدنيا متعبدا مترهدا، و كفّ بصره في آخر عمره..."⁵⁰

- عبد الرحيم الزيناتي (ق 7هـ/13م): هو الشيخ الفاضل المجدّ المجتهد أبو يزيد عبد الرحيم بن عمر الزيناتي، من كبار مشائخ المالكية ببلاد المغرب، رحل إلى مصر و لقي الأفاضل و جدّ واجتهد، فكان ممّن صاحب "ابن شاس" صاحب كتاب "الجواهر الثمينة"، ولما عاد إلى "بجاية" عكف على التدريس و التعليم، ثمّ ارتحل بعد ذلك إلى المغرب، واستوطن مدينة "فاس" إلى أن توفّي بها.⁵¹

- أبو علي ناصر الدين منصور بن أحمد بن عبد الحق الزواوي المشدالي (ت 731هـ/1331م):⁵² الشيخ الفقيه، و الإمام الفذ، من أهل الشورى و الفتوى في العلوم

و التّوازل، رحل صغيرا مع أبيه إلى المشرق، و أقام في رحلته نحوًا من عشرين عاما، و لقي الأفاضل و أخذ عنهم، كالعز بن عبد السلام، و صدر الدين سليمان الحنفي، و شرف الدين بن السبكي، و شمس الدين الاصبهاني⁵³، و روى عن ابن الحاجب، و هو أوّل من أدخل مختصره إلى بجاية، ومنها انتشر بسائر بلاد المغرب.⁵⁴

- عيسى أبو الروح بن مسعود الزواوي (ت 743هـ/1343م): كان فقيها عالما متفنا في العلوم تفقه ببجاية على أبي يوسف يعقوب الزواوي، ثمّ رحل إلى مصر فأقام بالقاهرة يشغل الناس بالعلوم بالجامع الأزهر، وسمع كتب الحديث السّنة قديما وولي نيابة القضاء بدمشق نحو سنتين ثمّ رجع إلى الديار المصرية فولي نيابة القضاء بها ثمّ ولي التدريس بزواوية المالكية وترك ولاية الحكم وأقبل على الاشتغال والتصنيف، شرح صحيح مسلم في اثني عشر مجلدا، واختصر جامع ابن يونس، وشرح المدوّنة، وحفظ موطأ مالك وكان إماما في الفقه وإليه انتهت رئاسة الفتوى في مذهب مالك بالديار المصرية والشامية وكان مولده سنة أربع وستين وستمائة وتوفي في سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة بالقاهرة.⁵⁵

4. أثر المدرسة المصرية على فقهاء بجاية من خلال الأعلام و المصنّفات:

كما سبق و أن ذكرنا فإنّه من بين الأهداف المتوخّاة من رحلة الكثير من طلبة العلم البجائيين إلى مصر هو " لقاء الأكابر، و التطوّف على أبوابهم طلبا لمزيد الدّراية، و الإحراز على الرواية، و عالي الإسناد و تتبّع طرقه بقدر ما أوتيّه من قوّة، فيؤوب مملوء الجراب بما يلدّ ويستطاب"⁵⁶، فمن هم أشهر الفقهاء المصريين تأثيرا في علماء بجاية، وما هي أهمّ مصنّفاتهم؟

4. 1 أبرز الأعلام المصريين تأثيرا في فقهاء بجاية (ق 7هـ/13م):

لاحظ الشيخ العلامة مُجّد الفاضل بن عاشور⁵⁷ أن "مصر" لمع بها في القرن السابع أعلام طال باعهم في تحرير المذهب المالكي واختصاره: كابن شاس و ابن الحاجب ثم القراني و خليل، وهناك جانب آخر من التأثير الذي ظهر في بعض مصنّفات المالكية، والمتمثّل في تأثير المدرسة الشافعية المصرية من خلال أعلامها الذي احتكّ بهم طلبة العلم البجائيون، و فيما يلي تعريف

بأشهر الفقهاء المصريين الذين كان لهم احتكاك مع طلبة العلم البجائيين في القرن السابع الهجري:

ابن الحاجب (ت646هـ/1249م): هو عثمان بن عمرو بن أبي بكر بن يونس الكردي الدويني نسباً⁵⁸، الإنساني مولداً⁵⁹، كُنيتة أبو عمرو، و لقبه جمال الدين، واشتهر بابن الحاجب نسبة إلى أبيه الذي كان حاجباً للأمير عز الدين موسك الصّلاحي، نشأ في صغره بالقاهرة حيث اشتغل بحفظ القرآن الكريم، ثم بالفقه على مذهب الإمام مالك، رحمته الله، ثم بالعربية والقراءات، وبرع في علومها وأتقنها غاية الإتقان، ثم انتقل إلى دمشق ودرّس بجامعة في زاوية المالكية⁶⁰، وصنّف التصانيف البالغة غاية التحقيق والإجادة، منها مختصره الفرعي و الأصلي، الأوّل في الفقه المالكي و الثاني في أصول الفقه، و له "الكافية" و "الشافية"، الأولى عبارة عن مقدمة وجيزة في النحو، و الثانية مثلها في التصريف، ثم انتقل في شيخوخته إلى الإسكندرية للإقامة بها، فلم تطل مدته هناك، وتوفي بها ضاحي نهار الخميس السادس والعشرين من شوال سنة 646هـ/1249م، ودفن خارج باب البحر بترية الشيخ الصالح ابن أبي شامة؛ وكان مولده في آخر سنة 570هـ/1175م بأسنا، رحمه الله تعالى⁶¹.

العز بن عبد السلام (ت660هـ/1262م): هو شيخ الإسلام أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام ابن أبي القاسم بن الحسن، الإمام العلامة، وحيد عصره، سلطان العلماء، السّلمي الدمشقيّ ثم المصريّ الشّافعي، ولد سنة سبع وسبعين وخمسمائة، وسمع من عبد اللطيف بن أبي سعد، والقاسم بن عساكر، وتفقه على فخر الدّين بن عساكر، والقاضي جمال الدّين بن الحرساني. وقرأ الأصول على الأمدي، وبرع في الفقه، والأصول، والعربية، وفاق الأقران والأضراب، وجمع بين فنون العلم، من التفسير، والحديث، والفقه، واختلاف أقوال الناس، ومآخذهم. وبلغ رتبة الاجتهاد، رحل إلى بغداد فأقام بها أشهراً، ثم عاد إلى دمشق فؤلي الخطابة بزاوية الغزالي ثم بالجامع الأموي، ولما سلّم الصالح إسماعيل قلعة الشّقيف وصفد للفرنج، نال منه الشيخ على المنبر، ولم يدع له. فغضب الملك من ذلك وعزله وسجنه، ثم أطلقه. فتوجه إلى مصر، فولاه صاحبها الصّالح أيوب القضاء و الخطبة، ثم اعتزل و لزم بيته، و في مصر رحل

إليه الطلبة من سائر البلاد، وصنّف التصانيف المفيدة، منها "الفوائد في اختصار المقاصد" و "قواعد الأحكام في مصالح الأنام" ... وروى عنه الدّمياطي وخرّج له أربعين حديثا، وابن دقيق العيد، وهو الذي لقّبه بسلطان العلماء، و تتلمذ عليه من بلاد المغرب خلق كثير، منهم أبو العباس أحمد بن عيسى الغماري البجائي (ت682هـ/1283م)، وأبو إسحاق إبراهيم بن ميمون الزواوي (ت686هـ/1287م) ... توفي بمصر في جمادى الأولى من سنة ستين و ستمائة، وحضر جنازته الخاصّ العام، السلطان فمّن دونه، ودفن بالقرافة في آخرها⁶².

شهاب الدين القرافي (ت684هـ/1285م): هو شهاب الدّين أبو العباس أحمد بن أبي العلاء إدريس بن عبد الرحمن بن عبد الله ابن يلين الصنهاجي المصري الإمام العلامة وحيد دهره وفريد عصره أحد الأعلام المشهورين والائمة المذكرين ولد بمصر، وتوفي في آخر يوم من جمادى الآخرة بدير الطين بالقرب من مصر القديمة عام أربعة وثمانين وستمائة، ودفن بالقرافة. كان إماما بارعا في الفقه والأصول والعلوم العقلية وله معرفة بالتفسير وتخرج به جمع من الفضلاء، وإليه انتهت رئاسة الفقه على مذهب مالك رحمه الله، أخذ كثيرا من علومه عن الشيخ الإمام العلامة الملقب بسلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام الشافعي، خلف عدّة مؤلفات منها كتاب الدّخيرة في الفقه من أجلّ كتب المالكية وكتاب القواعد الذي لم يسبق إلى مثله ولا أتى أحد بعده بشبهه وكتاب شرح التهذيب وكتاب شرح الجلاب وكتاب شرح محصول الإمام فخر الدّين الرّازي وكتاب التعليقات على المنتخب وكتاب التّفريح في أصوله الفقه، ودرّس بالصّاحية بعد وفاة شرف الدّين السّبكي، ثمّ أخذت منه، فوليه قاضي القضاة نفيس الدّين، ثمّ أعيدت إليه، ومات وهو مدرّسها. ودرّس بمدرسة طبرس وبجامع مصر⁶³، ويذكر ابن خلدون أنّ الشيخ البجائي ناصر الدين المشدالي قرأ معه في مجلس واحد، وفي ذلك يقول: "ثمّ ارتحل من زواوة في آخر المائة السابعة أبو علي ناصر الدين المشدالي، و أدرك تلاميذ أبي عمرو بن الحاجب، و أخذ عنهم، وقرأ مع شهاب الدين القرافي في مجلس واحد، و حذق في العقلية و النقليات، و رجع إلى المغرب بعلم كثير و تعليم مفيد، و نزل بجاية واتصل سند تعليمه بطلبتها"⁶⁴

ابن دقيق العيد (ت702هـ/1303م): هو الشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام قاضي القضاة تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع بن أبي الطاعة القشيري الشافعي، أحد علماء وقته، بل أجلهم وأكبرهم علماً ودينًا وورعًا وتفشًا ومداومة على العلم في ليله ونهاره مع كبر السن والشغل بالحكم، وله التصانيف المشهورة، والعلوم المذكورة، ولد بمدينة ينعب من أرض الحجاز في يوم السبت الخامس والعشرين من شعبان سنة خمس وعشرين وست مائة، ونشأ بديار مصر، واشتغل أولاً بمذهب الإمام مالك، ودرس فيه بمدينة قوص، ثم تمذهب للشافعي رحمه الله، حصل فيه الغاية دراية ونقلًا وتوجيهًا، وبرع في علوم كثيرة لا سيما في علم الحديث، فاق فيه أقرانه، وبرز على أهل زمانه، ورحل إليه الطلبة من الآفاق، ووقع على علمه وورعه وزهده الاتفاق، وكانت وفاته يوم الجمعة الحادي عشر من شهر صفر سنة ثلاث وسبع مائة بالقاهرة، ودفن بالقرافة الصغرى⁶⁵.

4. 2 مختصر ابن الحاجب الفرعي و أثره على الدرس الفقهي ببجاية:

إنّ من أهمّ المؤلفات المالكية المصرية التي تأثرت بأصول المذهب الشافعي، وكان لها-في نفس الوقت- تأثير على المدرسة المالكية البجائية بداية من المائة السابعة، هي مصنفات أبو عمرو عثمان بن عمرو المعروف بابن الحاجب المصري (ت646هـ/1249م)، و لعل أشهرها في فقه الفروع كتابه المعروف بـ "جامع الأمّهات"، و هو متن مختصر في الفقه، استخرجه مؤلفه من ستين كتابا في الفقه المالكي⁶⁶، وصنّفه على طريقة "ابن شاس"⁶⁷ (ت616هـ/1219م) في مؤلفه: "الجواهر الثمينة في مذهب عالم أهل المدينة"⁶⁸، إذ لخص فيه طرق أهل المذهب في كلّ باب و عدّد أقوالهم في كلّ مسألة، فكان بمثابة البرنامج للمذهب⁶⁹، وفيه ظهرت براعة صاحبه في التبويب و الترتيب، و الجمع بين الأقوال و الترجيح، مع حسن الصياغة و التنظيم، فأثنى عليه العلماء من المالكية و غيرهم، و تواترت الأخبار في الإشادة به و التنويه بمميّزاته، فهذا أحد أعلام الشافعية، الشيخ تقي الدين، ابن دقيق العيد (ت702هـ/1303م) و هو أحد شراح الكتاب يقول فيه: "أتى فيه بالعجب العجاب، و دعا قصي الإجابة فكان المجاب." و قال صاحب الديباج قال والدي علي بن محمد بن

فرحون رحمه الله تعالى قال لي الإمام العالم الفاضل العلامة القاضي فخر الدين المصريّ كان شيخنا كمال الدين الزملاكي يقول ليس للشافعية مثل مختصر ابن الحاجب للمالكية وكفى بهذه الشهادة⁷⁰.

أما عن دخوله إلى المغرب الأوسط، والتقلّة التي أحدثها في ميدان الفقه المالكي بـ "بجاية" تحديداً، فقد أورد لنا ابن خلدون (ت808هـ/1406م) نصّاً أشار فيه إلى من حاز قصب السبق في جلب هذا الكتاب إلى بلاد المغرب وحثّ طلبة العلم على مدارسته و ترغيبهم فيه، إذ يقول في ذلك: "ولما جاء كتابه إلى المغرب آخر المائة السابعة عكف عليه الكثير من طلبة المغرب وخصوصاً أهل بجاية لما كان كبير مشيختهم أبو علي ناصر الدين الزواوي (ت731هـ/1331م) هو الذي جلبه إلى المغرب. فإنّه كان قرأ على أصحابه بمصر ونسخ مختصره ذلك فجاء به وانتشر بقطر بجاية في تلاميذه، ومنهم انتقل إلى سائر الأمصار المغرّبة، وطلبة الفقه بالمغرب لهذا العهد يتداولون قراءته ويتدارسونه لما يؤثر عن الشيخ ناصر الدين من الترغيب فيه⁷¹". و بخصوص ترغيب هذا الأخير -بل و تعصّبه- لمختصر ابن الحاجب، و تعلّقه بشرح التوضيح عليه لخليل ابن إسحاق، فقد نقل لنا التنبكي -تأكيداً لكلام ابن خلدون- أنّ الشيخ ناصر الدين المشدالي كان يقول عند التعارض بين خليل وغيره: "نحن خليليون إن ضلّ ضللنا"، كما قدّم لنا الشيخ "مُحمَّد الفاضل بن عاشور" كلاماً هاماً بيّن فيه التحوّل الذي عرفته المدرسة المالكية ببلاد المغرب عموماً بعد دخول مختصر ابن الحاجب، كان دارسو الفقه إذ ذاك يطبّقون الأحكام الشرعية على الوقائع بمراعاة حيث يقول: "الظروف الزمانية و المكانية التي فرضت فيها تلك الأحكام، فإذا رأوا أنّ بعض تلك الظروف تبدّل مالوا إلى العدول عن القول المشهور إلى قول غيره اجتهداداً منهم و استحساناً و اعتباراً للمصالح الشرعية، و هذا كلّّه ناتج عن الطريقة التي أحدثها مختصر ابن الحاجب الفقهي...⁷²"، و صوّر لنا الشريف التلمساني (ت771هـ/1370م) في رحلته عندما زار "بجاية" في القرن الثامن الهجري مدى عناية أهلها به فقال: "...وقد سمعنا أنّ بجاية بما خمسمائة صبيّة يحفظن المدوّنة، و أمّا اللاقي يحفظن ابن الحاجب فلا يحصي عددهنّ إلّا الله

تعالى...⁷³، و يقول فقيهاها أبي يوسف الزواوي (ت690هـ/1291م): "من حصل كتاب ابن الحاجب و فهمه، فإنّه يقرئ به المدوّنة."، و نظرا للمكانة التي حضي بها عندهم، لم يكتف فقهاء بجاية بقراءته و مدارس مسائله في حلق العلم، بل بلغ بهم الأمر إلى حفظه عن ظهر قلب، و تأليف الشروح و التعليقات و الحواشي و الإملاءات عليه، ومن أبرز من كتب عنه نذكر:

- عيسى أبو الروح بن مسعود الزواوي (ت743هـ/1343م)⁷⁴: كان يحكي أنه حفظ مختصر ابن الحاجب في الفروع في مدّة ثلاثة أشهر ونصف، و له عليه شرح في سبع مجلدات وصل فيه إلى كتاب الصّيد.

- مُحمّد بن يحيى الباهلي البجائي، المعروف بابن المسفر (ت744هـ/1444م): جاء في شجرة النور الزكية: "له إملاء عجيب على مختصر ابن الحاجب الفرعي..."⁷⁵

- أحمد بن إدريس البجائي (ت بعد 760هـ/1359م): له تعليق على بيوع الآجال من مختصر ابن الحاجب⁷⁶، و له "شرح على ابن الحاجب" نقل عنه جماعة من الفقهاء منهم ابن عرفة و أحمد بن زاغو و مُحمّد بن بلقاسم المشدالي و غيرهم.⁷⁷

- أحمد بن عمران البجائي الليانوي (ق8هـ/14م): له شرح على مختصر ابن الحاجب في ثلاثة أسفار.⁷⁸

5. الخاتمة:

بعد عرضنا الموجز لما عرفته حاضرة بجاية من تواصل علمي مع حواضر الفقه المصرية خلال القرن 7هـ/13م وما انجز عن ذلك من مجالسة للفقهاء و جلب للمصنّفات، يمكننا الخلوص إلى مايلي:

- برزت حاضرة بجاية كمركز إشعاع علمي و حضاري منذ انبعاثها في العهد الحمّادي، ثمّ تألّقت في العهد الحفصي كمدرسة مالكية سبقت الجزائر و تلمسان⁷⁹، و سطع في سماءها نجم كثير من الفقهاء ممّن ساهموا في إثراء المذهب المالكي و تطوير مناهجه

- ساهمت رحلات فقهاء بجاية إلى مصر، وانفتاحهم على المذاهب الأخرى - لاسيما المذهب الشافعي - في وقوع التحوّل على مستوى المدرسة المالكية البجائية، وذلك من خلال التلمذ على فقهاء بارزين في المذهب الشافعي كالعز بن عبد السلام، أو من خلال جلب المصنّفات الفقهية و الأصولية الشافعية، كما ألقى التنوّع المذهبي في حواضر مصر (ق 6 و 7 هـ/ 12 و 13 م) بضلاله على حاضرة بجاية، و هو ما لمسناه من تحوّل ببعض البجائيين -على قتلهم- عن المذهب المالكي، كيحيى بن معط الزواوي (ت 628 هـ/ 1231 م) صاحب الأجرّومية، الذي تحوّل إلى المذهب الحنفي.

- ضلّت المدرسة الفقهية المصرية تُؤثّر في نظيرتها المغربية منذ زمن ابن القاسم و أشهب تلميذني الإمام مالك، إلى زمن ابن الحاجب، حيث أحدثت في أواخر المائة السابعة (ق 7 هـ/ 13 م) ثورة في طريقة تناول و دراسة الفقه المالكي ببجاية، يُعتبر الشيخ أبو علي ناصر الدين المشدالي (ت 731 هـ/ 1331 م) قائدها، ومختصر ابن الحاجب سلاحه، فبعد أن كانت تعتمد على النقل و الحفظ تطوّرت إلى الاعتماد -بعد جمع الأقوال- على التّطر و الاجتهاد، ثمّ التقعيد و التخرّيج و التّأصيل، ومن ثمّ التّرجيح و بيان الحكم الشرعي و مقاصده.

- مع نهاية القرن 7 هـ/ 13 م، لم تبق بجاية دار تواصل بين الطلبة و العلماء فقط، بل صارت مركزا للفتوى، تتبعه أغلب حواضر بلاد المغرب، و أصبحت فتاوى أهل بجاية معتمدة، وطريقتهم التدريسية في الفقه مأخوذ بها، حيث تمّ العدول عن الطريقة التقليدية (طريقة المدوّنة) إلى الطريقة الحديثة (طريقة مختصر ابن الحاجب) في عمارة مراكز الدراسة الفقهية ببلاد المغرب، وبذلك عظم اعتزاز أهل بجاية بأنفسهم، و عظم إكبار فقهاء المغرب لبجاية و أهلها⁸⁰

- عمل طلبة العلم البجائيين على نشر مختصر ابن الحاجب الفرعي و التّرويج فيه منذ دخوله إلى بجاية، فعمّ سائر الأمصار المغربية، و عكف الفقهاء بالحواضر المغربية على شرحه و اعتماده، و هجروا لأجله المدوّنة و الأمّهات الأوّل، و سارع الطلبة إلى حفظه و مدارسته.

- حصول نهضة تأليفية بعد القرن 7 هـ/ 13 م، يرجعها الكثير من الباحثين إلى الانفتاح على كتب المشاركة، و شيوع ظاهرة المختصرات تأثرا بمختصر ابن الحاجب الفرعي و جامع الأمّهات

... ومن هذه المؤلفات كتاب "مختصر البيان" لأبي عبد الله محمد بن أبي القاسم المشدالي (ت866هـ/1462م) وهو اختصار لكتاب "البيان والتحصيل" لابن رشد، كما اختصر أبحاث ابن عرفة في كتاب سماه "تكملة المختصر"، وله أيضا "تكملة حاشية أبي مهدي عيسى الوانوغلي" على المدونة.

6 . قائمة المراجع:

. المصادر:

- . الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي المتوفى 560هـ/1165م: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1، 1409هـ.
- . الأذفوي، كمال الدين أبو الفضل جعفر بن ثعلب بن جعفر ت748هـ/1347م: الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء و الرواة بأعلى الصعيد، المطبعة الجمالية، حارة الروم، مصر، 1332هـ/1914م.
- . البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين: مناقب الشافعي، تح السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط1، 1970م.
- . التادلي، أبو يعقوب يوسف بن يحيى المعروف بابن الزيات ت617هـ/1220م: التشوف إلى رجال التصوف، تح أحمد التوفيق، ط2، 1997م.
- . ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين المتوفى 874هـ/1470م: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب، مصر، د ت
- . التنبكي، أحمد بابا ت1036هـ/1627م: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، كلية الدعوة الاسلامية، طرابلس، ليبيا، ط1، 1989م
- . ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكنايني الأندلسي المتوفى 614هـ/1217م: رحلة ابن جبير، دار ومكتبة الهلال بيروت، لبنان، د ت.

- الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم ت 900هـ/1495م: الروض المعطار في خبر الأقطار، تح إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، لبنان، ط2، 1980م.
- الحموي، ياقوت: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان، ط2، 1995م.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد المتوفى 808هـ/1406م: العبر و ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط2، 1408 هـ / 1988 م.
- خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي الإربلي المتوفى 681هـ/1282م: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح إحسان عباس، دار صادر. بيروت، لبنان، 1900م
- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ت 748هـ/1347م: سير أعلام النبلاء، دار الحديث، القاهرة، مصر، 1427هـ/2006م.
- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ت 748هـ/1347م: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1413 هـ / 1993 م.
- الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي المتوفى 1396هـ/1976م: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط15، 2002م.
- العبدري، أبو عبد الله محمد بن محمد: رحلة العبدري، تح علي إبراهيم كردي، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط2، د ت.
- العسقلاني، ابن حجر: رفع الإصر عن قضاة مصر، تح علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1998م.
- ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العسكري الحنبلي الدمشقي ت 1089هـ: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط 1، 1406 هـ / 1986 م

- . عياض، أبو الفضل القاضي: ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تح ابن تاووت الطنجي، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، ط1.
- . الغبريني، أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله ت714هـ/1314م: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط2، أبريل 1979م.
- . ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد اليعمرى المتوفى 799هـ/1397م: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ت.
- . السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين المتوفى 771هـ/1370م: طبقات الشافعية الكبرى، تح محمود محمد الطناحي و عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الجيزة، مصر، ط2، 1413هـ.
- . السيوطي، جلال الدين ت 911هـ/1506م: حسن المحاضرة في تاريخ مصر و القاهرة، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العلمية، ط1، 1967م.
- . السيوطي، جلال الدين ت 911هـ/1506م: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تح أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار طيبة، د ت.
- . أبو شامة الدمشقي ت 665هـ/1267م: الذيل على الروضتين، نشر عزت العطار، دار الجليل، بيروت، لبنان، د ت
- . ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي المتوفى 774هـ/1373م: طبقات الشافعيين، تح د أحمد عمر هاشم، د محمد زينهم محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية، 1413 هـ / 1993 م.
- . بن أحمد بن علي، أبو الطيب المكي تقي الدين الحسيني الفاسي المتوفى 832هـ/1429م: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، دار الكتب العلمية، ط1، 1421هـ/2000م.

- . المراكشي، عبد الواحد بن علي التميمي، محيي الدين المتوفى 647هـ/1249م: المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، تح الدكتور صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، ط1، 1426هـ / 2006م.
- . المقري، شهاب الدين أحمد بن مُجَّد المتوفى 1041هـ/1632م: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تح إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1997م.
- . المقرئ، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المتوفى 845هـ/1442م: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ.
- . المقرئ، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المتوفى 845هـ/1442م: اتعاظ الخلفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تح مُجَّد حلمي مُجَّد أحمد، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، مصر، ط1، د.ت.
- أحمد بن قاضي: جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام بمدينة فاس، دار المنصور، الرباط، المغرب، 1973م.
- الورثياني، سيدي حسين بن محمد: نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ و الآثار، مطبعة بدير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1908م.

. المراجع:

- . أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1998م.
- . أحمد بدوي: الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر و الشام، مكتبة النهضة، القاهرة، د.ت.
- . أحمد شامخ الحميد العنزي: الحياة الفكرية في العصر المملوكي الثاني في مصر و الشام و الحجاز، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سوريا، ط1، 2010م.

. الحسن الشاهدي: أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني، مطبوعات عكاظ، الرباط، المغرب، 1990م.

. صلاح الدين المنجد: المشرق في نظر المغاربة و الأندلسيين في العصور الوسطى، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط1، 1963م

. عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض للنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1400هـ/1980م.

. سعيد عبدالفتاح عاشور: الأيوبيون و المماليك في مصر و الشام، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، 1996م.

. محمد جوهار: المختصرات الفقهية في المذهب المالكي، رسالة دكتوراه، إشراف السعيد بوركبة، دار الحديث الحسنية، المملكة المغربية، د.ت.

. محمد الفاضل بن عاشور: ومضات فكر، الدار العربية للكتاب، تونس، 1998م.

محمد الفاضل بن عاشور: روح الحضارة الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، و م أ، ط2، 1413هـ/1992م.

مخلف محمد بن محمد بن عمر بن قاسم المتوفى 1360هـ: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تع عبد الحميد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ/2003م. . يحيى بوعزيز: أعلام الفكر و الثقافة في الجزائر المحروسة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1995م.

. المداخلات:

. بلميهوب حفيظة: مدرسة بجاية و إسهامها في خدمة المذهب المالكي، الملتقى الوطني الخامس للمذهب المالكي (فقه النوازل في الغرب الإسلامي)، 14-15-16 أفريل 2009م، دار الثقافة، عين الدفلى، الجزائر.

7. الهوامش:

- 1 - الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم ت 900هـ: الروض المعطار في خبر الأقطار، تح إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، لبنان، ط2، 1980م، ص ص81، 80.
- 2 - و هو ما أشار إليه الادريسي بقوله: "وأما مدينة بجاية في ذاتها فإنها عمرت بخراب القلعة التي بناها حماد"، للمزيد ينظر الادريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي المتوفى 560هـ: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1، 1409هـ، ج1، ص261.
- 3 - هو التاصر بن علّاس بن حمّاد بن بلّكين بن زيري، الصّنهاجيّ، خامس ملوك بني حمّاد. تملّك بعد أن قهر ابن عمّه بلّكين بن محمّد بن حمّاد وغدر به، وأخذ منه الحكم، و هو الذي أنشأ مدينة بجاية التّاصرية، وكانت دولته سبعا وعشرين سنة. توفيّ سنة إحدى وثمانين وأربعمائة، للمزيد ينظر الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ت 748هـ: سير أعلام النبلاء، دار الحديث، القاهرة، 1427هـ/2006م، ج14، ص87.
- 4 - ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد المتوفى 808هـ: العبر و ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط2، 1408هـ/1988م، ج6، ص231.
- 5 - عن حركة بني غانية ضدّ الموحّدين ينظر المراكشي، محيي الدين عبد الواحد بن علي التميمي المتوفى 647هـ: المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحّدين، تح الدكتور صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، ط1، 1426هـ / 2006م، ص ص197، 198.
- 6 - من تلك التّصوص ما ذكره الغبريني في معرض ترجمته لأبي علي الحسن بن علي المسيلي (ت580هـ) قوله: "أدركت ببجاية تسعين مفتيا ما منهم من يعرف الحسن بن علي المسيلي من يكون"، ثمّ يضيف قائلا : وإذا كان من المفتين تسعون، فكم يكون من المحدثين ومن النحاة ومن الأدباء وغيرهم ممن تقدّم عصرهم و لم يدركه...، وفي ختام ترجمته لأبي الفضل المعروف بابن محشرة (ت598هـ)، يذكر الغبريني أنّه قد بقي خلق كثير من أعلام المائة السادسة، منعه شرط الكتاب من الترجمة لهم، ينظر الغبريني، أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله ت 714هـ: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح عادل نويّهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط2، أبريل 1979م، ص55.
- 7 - القاضي عياض، أبو الفضل: ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تح ابن تاويت الطنجي، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، ط1، ج1، ص25.

- 8 - العسقلاني، ابن حجر: رفع الإصر عن قضاة مصر، تح علي مُجد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1998م، ص89، 88.
- 9 - البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين: مناقب الشافعي، تح السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط1، 1970م، ج1، ص13.
- 10 - ابن خلدون، عبد الرحمان: العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر ومن عاصريهم من ذوي الشأن الأكبر، تح خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط2، 1988م، ج1، ص566.
- 11 - المقرئزي: المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الآثار، ج4، ص15.
- 12 - السيوطي، جلال الدين ت 911هـ: حسن المحاضرة في تاريخ مصر و القاهرة، تح مُجد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العلمية، ط1، 1967م، ج1، ص40.
- 13 - زادت شهرة المذهب الحنفي زمن الملك المعظم عيسى، أحد أبناء الملك الكامل محمد، و لعلّه الوحيد الذي انفرد بالمذهب الحنفي من ملوك الدولة الأيوبية، للمزيد يُنظر ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة، ج6، ص211.
- 14 - المقرئزي: المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الآثار، ج4، ص166، 167.
- 15 - السيوطي، جلال الدين: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تح أبو قتيبة نظر مُجد الفارابي، دار طيبة، د ت، ج2، ص587.
- 16 - أبو الطيب المكي تقي الدين مُجد بن أحمد بن علي الحسني الفاسي المتوفى 832هـ: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، دار الكتب العلمية، ط1، 1421هـ/2000م، ج2، ص278.
- 17 - الحسن الشاهدي: أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني، مطبوعات عكاظ، الرباط، المغرب، 1990م، ج1، ص117.
- 18 - بدوي، أحمد: الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر و الشام، مكتبة النهضة، القاهرة، د ت، ص10.
- 19 - المنجد، صلاح الدين: المشرق في نظر المغاربة و الأندلسيين في العصور الوسطى، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط1، 1963م، ص22.
- 20 - ينظر ترجمته عند نويهض، عادل: معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، ط2، 1980م، ص229.

- 21 - العنزي، أحمد شامخ الحميد: الحياة الفكرية في العصر المملوكي الثاني في مصر و الشام و الحجاز، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سوريا، ط1، 2010م، ص195.
- 22 - من أهم هذه المدارس، المدرسة "القمحية" التي أقامها صلاح الدين الأيوبي للمالكية، وسميت كذلك نسبة للقمح الذي كانت تغله الأوقاف التي أوقفها صلاح الدين بالفيوم على تلك المدرسة، والمدرسة "الكاملية" التي أنشأها السلطان الكامل سنة 621 هـ، و المدرسة "الصالحية" التي أقامها السلطان الصالح نجم الدين أيوب سنة 639 هـ، وهي أول مدرسة في مصر تجمع بين مذاهب السنة الأربعة... للمزيد عن المدارس التي شيدها السلاطين الأيوبيون و المماليك من بعدهم ينظر المقرئ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر الحسيني العبيدي المتوفى 845 هـ: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1418 هـ، ج4، ص200 و ما بعدها.
- 23 - عاشور سعيد عبدالفتاح: الأيوبيون و المماليك في مصر و الشام، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، 1996م، ص320.
- 24 - ابن جبير، محمد بن أحمد بن جبير الكتاني الأندلسي المتوفى: 614 هـ: رحلة ابن جبير، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، د ت، ص15.
- 25 - ابن جبير: المصدر السابق، ص232.
- 26 - ابن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص744.
- 27 - السيوطي: المصدر السابق، ج2، ص585.
- 28 - الغبريني: المصدر السابق، ص139.
- 29 - التنبكي: المصدر السابق، ص609، 610.
- 30 - الغبريني: المصدر السابق، ص229.
- 31 - ابن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص745.
- 32 - العبدري، أبو عبد الله محمد بن محمد: رحلة العبدري، تح علي إبراهيم كردي، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط2، ص10.
- 33 - المقرئ، شهاب الدين أحمد بن محمد المتوفى 1041 هـ: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تح إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1997م، ج2، ص5.

- 34 - التادلي، أبو يعقوب يوسف بن يحيى المعروف بابن الزيات ت617هـ: التشوف إلى رجال التصوف، تح أحمد التوفيق، ط2، 1997م، ص428. الغبريني: المصدر السابق، ص127.
- 35 - له ترجمة مطوّلة عند الغبريني: المصدر السابق، ص133.
- 36 - للمزيد عن ترجمته ينظر ابن العماد الدمشقي، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العسكري الحنبلي المتوفى 1089هـ: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح محمود الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط1، 1406 هـ / 1986 م، ج6، ص441.
- 37 - ابن العماد الدمشقي: المصدر السابق، ج6، ص454.
- 38 - ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم البرمكي الإربلي ت681هـ: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح إحسان عباس، دار صادر. بيروت، لبنان، 1900م، ج1، ص105، 106.
- 39 - نسبة إلى "مليانة" من القطر الجزائري، هكذا عند الغبريني: المصدر السابق، ص188، وفي نيل الابتهاج "الملثاني" ينظر التنبكي (أحمد بابا ت1036هـ): نيل الابتهاج بتطريز الديباج، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، ط1، 1989م، ج1-2، ص78.
- 40 - كتاب "التلقين" من كتب الفقه المالكي للقاضي عبد الوهاب البغدادي (ت422هـ)، و شرحه أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي المازري، نسبة إلى "مازر" بجزيرة صقلية، من أئمة المالكية في عصره، توفي بالمهدية بتونس سنة 536هـ، ينظر الغبريني: المصدر السابق، ص188.
- 41 - ينظر الغبريني: المصدر السابق، ص137.
- 42 - التنبكي: المصدر السابق، ج1-2، ص321.
- 43 - عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض للتشتر، بيروت، لبنان، ط2، 1400هـ/1980م، ص39.
- 44 - الغبريني: المصدر السابق، ص268.
- 45 - عادل نويهض: المرجع السابق، ص37.
- 46 - الغبريني: المصدر السابق، ص233.
- 47 - بوعزيز، يحيى: أعلام الفكر و الثقافة في الجزائر المحروسة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1995م، ج1، ص288.

- 48 - لترجمته ينظر مخلوف، مُجَّد بن مُجَّد بن عمر بن قاسم المتوفى 1360هـ: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تع عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ/2003م، ج1، ص289. الغبريني: المصدر السابق، ص93. التنبكي: المصدر السابق، ج1-2، ص80.
- 49 - "الرفائق" كتاب الفقيه المحَّد عبد الحق الاشبيلي...، و"التهذيب في اختصار المدونة" للفقيه المالكي "ابن البراذعي"...، و"الجلاب" فقيه مالكي صاحب كتاب "التفريع"...، للمزيد ينظر الغبريني: المصدر السابق، ص94.
- 50 - الغبريني: المصدر السابق، ص205.
- 51 - ينظر ترجمته عند المكتاسي، أحمد بن قاضي: جذوة الاقتباس في ذكر من حلَّ من الأعلام بمدينة فاس، دار المنصور، الرباط، المغرب، 1973م، ص415. الغبريني: المصدر السابق، ص258.
- 52 - نسبة إلى "مشدالة" إحدى قرى بجاية، و قيل بطن من بطون "زواوة"، الغبريني: المصدر السابق، تعليق عادل نويهض في الحاشية ص229.
- 53 - ينظر الغبريني: المصدر السابق، تعليق عادل نويهض في الحاشية ص229.
- 54 - التنبكي: المصدر السابق، ص609، ترجمة رقم750، و مخلوف: المرجع السابق، ص312، ترجمة رقم796، الغبريني: المصدر السابق، ص229، ترجمة رقم62.
- 55 - ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن مُجَّد، برهان الدين اليعمري المتوفى 799هـ: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ت، ص182.
- 56 - الحسن الشاهدي: المرجع السابق، ص95.
- 57 - هو مُجَّد الفاضل بن مُجَّد الطاهر بن عاشور، أديب و فقيه تونسي معاصر، وُلد سنة 1327هـ/1909م بتونس، و بها توفي سنة 1390هـ/1970م، نشأ في بيئة علمية، حيث عاش في حياة أبيه العلامة الفقيه المفسر مُجَّد الطاهر بن عاشور، مسترشدا بتوجيهه، و مغترفا من مكتبته الحافلة بالتفائس، و تخرَّج بالمعهد الزيتوني، ثم أصبح أستاذا فيه، فعميدا له، و شغل خطة القضاء بتونس ثم منصب مفتي الجمهورية، كما شارك في مؤتمرات علمية عديدة، و ألقى محاضرات بجامعة السوربون بفرنسا، و استانبول بتركيا...، وكان عضوا في الجمع اللغوي بالقاهرة، و عضوا برابطة العالم الاسلامي بمكَّة، له عدَّة مؤلفات مطبوعة منها "التفسير و رجاله" و "أركان النهضة الأدبية بتونس"... للمزيد ينظر مُجَّد الفاضل بن عاشور: روح الحضارة الاسلامية، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، فرجينيا، و م أ، ط2، 1413هـ/1992م، ص2.

- 58 - نسبة إلى بلدة "دوين" بفتح أوله، وكسر ثانيه، وياء مثناة من تحت ساكنة، وآخره نون: بلدة من نواحي أَرَّان في آخر حدود أذربيجان بقرب من تفليس، منها بنو أيوب ملوك مصر و الشام، ينظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان، ط2، 1995م، ج2، ص491.
- 59 - نسبة إلى "إسنا" بصعيد مصر، ينظر تَمِيشْنَا رقم 14، و رسمها "ابن خلِّكان" بفتح الهمزة وسكون السين المهملة وفتح النون وبعدها ألف، وهي بلدة صغيرة من الأعمال القوصية بالصعيد الأعلى من مصر، ينظر كتابه "وفيات الأعيان"، ج3، ص250.
- 60 - رحل من القاهرة إلى دمشق عدّة مرّات، كان آخرها سنة 617هـ، وفيها تصدر لتدريس اللغة العربية و القراءات، للمزيد ينظر أبو شامة الدمشقي ت665هـ: الذيل على الروضتين، نشر عزّت العطار، دار الجليل، بيروت، لبنان، د ت، ص182.
- 61 - ترجمته عند ابن خلِّكان: المصدر السابق، ج3، ص248. الأُدُفُوي: الطالع السعيد، ص188. محمّد مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ج1، ص241.
- 62 - ينظر السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين المتوفى 771هـ: طبقات الشافعية الكبرى، تح محمود مُحمَّد الطناحي و عبد الفتاح مُحمَّد الحلّو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الجيزة، مصر، ط2، 1413هـ، ج8، ص209. و ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج7، ص522.
- 63 - الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله مُحمَّد بن أحمد بن عثمان المتوفى 748هـ: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1413 هـ / 1993 م، ج51، ص176.
- 64 - ابن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص545.
- 65 - ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي المتوفى 774هـ: طبقات الشافعيين، تح د أحمد عمر هاشم، د مُحمَّد زينهم مُحمَّد عزب، مكتبة الثقافة الدينية 1413 هـ / 1993 م، ص952.
- 66 - الزركلي، خير الدين بن محمود بن مُحمَّد بن علي بن فارس الدمشقي المتوفى 1396هـ: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط15، 2002م، ج4، ص211.
- 67 - هو العلامة جمال الدّين أبو مُحمَّد عبد الله بن نجم بن شاس بن نزار الجذاميّ السعديّ المصريّ ، شيخ المالكية، وصاحب كتاب «الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة». كان من كبار الأئمة العاملين، حجّ في أواخر عمره ورجع فامتنع من الفتيا إلى أن مات مجاهدا في سبيل الله، في حدود رجب من سنة ستّ عشرة وسّمائة. ينظر ابن العماد الدمشقي: المصدر السابق، ج7، ص123.

- 68 - للاطلاع على مدى التقارب بين الكتّابين (مختصر ابن الحاجب، و الجواهر الثمينة) مضمونا و شكلا ينظر جوهار مُجّد: المختصرات الفقهية في المذهب المالكي، رسالة دكتوراه تحت إشراف السعيد بوركية، دار الحديث الحسنية، المملكة المغربية، د ت، ص 803.
- 69 - ابن خلدون: المصدر السابق، ج 1، ص 570.
- 70 - ابن فرحون، إبراهيم بن علي: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ت، ص 190.
- 71 - ابن خلدون: المصدر السابق، ج 1، ص 570، 571.
- 72 - بلميهوب حفيظة: مدرسة بجاية وإسهامها في خدمة المذهب المالكي، الملتقى الوطني الخامس للمذهب المالكي (فقه النوازل في الغرب الإسلامي)، 14-15-16 أبريل 2009م، دار الثقافة، عين الدفلى، الجزائر. ص 101-102.
- 73 - الورثيلاني، سيدي حسين بن محمد: نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والآثار، مطبعة بيبير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1908م، ص 28.
- 74 - ترجمنا له سابقا تحت عنوان: "أشهر فقهاء بجاية الذين ارتحلوا إلى المشرق"
- 75 - مخلوف: المرجع السابق، ج 1، ص 315.
- 76 - ابن فرحون: المصدر السابق، ج 1، ص 81.
- 77 - عادل نويهض: المرجع السابق، ص 33.
- 78 - التنبكي: المصدر السابق، ص 94.
- 79 - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 1، 1998م، ج 1، ص 79.
- 80 - مُجّد الفاضل بن عاشور: ومضات فكر، الدار العربية للكتاب، تونس، 1982م، ص 348.